الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في مقاطعة نوميديا الرّومانيّة

Socio-economic conditions in the Roman province of Numidia

أ. قاسم محمّد*

تاريخ الاستلام: 14-01-2020 تاريخ القبــول: 17-07-2022

ملخّص: إنّ الباحث في تاريخ بلاد المغرب القديم يلاحظ أهميّة الدّور الاقتصادي الذي لعبته مقاطعة نوميديا بالنّسبة للإمبراطوريّة الرّومانيّة وممّا لاشك فيه أنّ الدّافع الأساسي للاحتلال الرّوماني كان الاقتصاد والمتمثل في السّيطرة على الأراضي الخصبة خاصّة مع تزايد الحاجيات الاقتصاديّة للإمبراطوريّة، اعتبرت السّيطرة على هذه الأراضي الخصبة في المقاطعات أولويّة قصوى، ولتحقيق هذا الأمر وجب تغيير النّسيج الاجتماعي المحلي للقبائل التي مثالثّ اكبر تحدٍّ للتواجد الرّوماني خاصّة فيما تعلق بافتكاك الأراضي في حين تم الدّفع بالقبائل المحليّة وراء خطوط الليمس(Limes) فبعد احتلال نوميديا سنة 46 ق. م شهدت المنطقة ككل ونوميديا على وجه الخصوص تواجدًا رومانيًّا مكثّفًا يعكسه انتشار الفرق العسكريّة. يمكن القول أنّ الهدف من التّغيرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي شهدتها مقاطعة نوميديا االثّناء التّواجد الرّوماني كان إحكام السّيطرة بهدف استنزاف خيرات المنطقة وهذا من بين المواضيع الهامة التي لم تحظ بالقدر الكافي من الاهتمام في أوساط الباحثين والمؤرخين، في هذا العمل حاولت تتبع أهم هذه التّطورات في شقّها الاقتصادي وشقّها الاجتماعي وهذا لارتباطهما بشكل جلي ممّا انعكس على وضعيّة مقاطعة نوميديا االثّناء الاحتلال الرّوماني.

*جامعة وهران 01 احمد بن بلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: mohamedkacem555@hotmail.com (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: مقاطعة نوميديا – الوضعيّة الاجتماعيّة – الوضعيّة الدّيمغرافيّة –التّواجد الرّوماني –الفرق العسكريّة.

Summary : The researcher in the history of the ancient Maghreb notes the importance of the economic role played by the province of Numidia to the Roman Empire. In order to achieve this, the local social fabric of the tribes, the greatest challenge to the Roman presence, must be changed, especially with regard to land devastation, while the local tribes were pushed behind the Limes lines after the occupation of Numidi. Year 46 BC saw the region as a whole and Numidia, in particular, the presence of a Roman intensely reflected in the proliferation of military teams. It can be said that the objective of the economic and social changes witnessed in the province of Numidia during the Roman presence was the provisions of control in order to deplete the goods of the region and this is one of the important topics that did not receive enough attention among researchers and historians, in this work tried to follow the most important developments in its economic This is clearly linked to the situation of the province of Numidia during the Roman occupation.

Keywords: Numidia Province - Social Status - Demographic Status - Roman Presence - Military Bands.

1-مقدّمة: اتضحت مطامع السّلطات الرّومانيّة في السّيطرة على مقاطعة نوميديا منذ وفاة مسينيسا سنة 148ق. م حيت تدخلت لتسويّة أوضاع المملكة النّوميديّة واكتفت بالمراقبة والمهادنة إلى غاية سنة 46 ق. م حيت احتلت المقاطعة بشكل مباشر[1] في هذا الصّدد يشير الاقتراح الذي تقدم به كوريون (Curion) سنة 50 ق.م. والمتمثل في تحويل مملكة نوميديا إلى ملك للشعب الرّوماني هذا الاقتراح الذي االثّار سخطا كبيرا في أوساط النّوميد[2]. يشير على أن الرّومان اعتبروا أن مقاطعة نوميديا جزء شرعي من الإمبراطوريّة الرّومانيّة الإشكال طرح فقط في كيفيّة حكمه وتسييره، من هذا المنطلق يمكن أن نطرح الإشكاليّة التّاليّة: ما هو الهدف من

التّغيرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي استحدثها الرّومان في مقاطعة نوميديا؟ وهل التّغيرات السّياسيّة المتزامنة هدفها فقط سياسي أم كان التّدرج في السّيطرة بهدف تثبيت التّواجد وضمان الاستغلال للموارد التي تزخر بها المقاطعة؟

تجدر الإشارة إلى أنّ خطوط الليمس(Limes) في شقه الخاص بنوميديا عرف توسعا خلال القرن االثّاني خاصّة في جنوب الأوراس[3]، وهذا من أجل عزل القبائل المحليّة تحضيرا لتفكيك بنيتها وتحويلها إلى مواطنين رومان فيما عرف بسياسيّة الرّومنة. من هذا المنطلق ارتأيت أن أشير في هذا المقال إلى أهم التّطورات السّياسيّة للمقاطعة وعلاقتها بالتّغيرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

2-نوميديا مع بداية الاحتلال الرّوماني: بعد القضاء على قرطاجة سنة 146ق.م وتدميرها نهائيا، أصبحت اغلب مناطق شمال إفريقيا تحت سلطة الإمبراطوريّة الرّومانيّة، رغم المقاومة العنيفة التي واجهها الرّومان في كثير من هذه المناطق، ولترسيخ التّواجد في المنطقة تم إنشاء مقاطعات إداريّة مع انتهاج سياسة تشمل الإخضاع العسكري والسّياسي والاقتصادي تعرف بسياسة الرّومنة[4]. قام الرّومان بتقسيم المناطق الخاضعة لسلطتهم في شمال إفريقيا إلى وحدات إداريّة مرتبطة مباشرة بالإدارة الرّومانيّة لعدة أهداف أهمها تسهيل عمليّة إخضاع القبائل االثّائرة على التّواجد الرّوماني إضافة إلى السّيطرة على الأراضي الزّراعيّة التي تتميز بها المنطقة.[5] اتفق اغلب المؤرخين على الدّور الاقتصادي الهام الذي شكلته الأراضي الخصبة في المقاطعات الرّومانيّة التي تم تأسيسها في شمال إفريقيا من بينها مقاطعة نوميديا خاصّة مع تزايد الحاجيات الاقتصاديّة للإمبراطوريّة، اعتبرت السّيطرة على هذه الأراضي الخصبة في هذه المقاطعات أولويّة قصوى، في حين تم العمل على تغيير النّسيج الاجتماعي المحلي للقبائل التي مثالثّ أكبر مصدر رفض للسياسة الزّراعيّة الرّومانيّة بسبب افتكاك أراضي هذه القبائل[6]. بدأت روما اتصالها بالمنطقة بربط الاقتصاد النّوميدي بالاقتصاد الرّوماني بخاصّة وأنّ نوميديا مثل أرضا إضافيّة غنيّة بالخيرات المستديمة، والمزروعات والمعادن والرّقيق[7]، إذ أنّ القمح الأفريقي كان من أجود أنواع القمح، وذو مردوديّة جيدة، وارتبطت السّيطرة الرّومانيّة بمصادرة الضّياع، واغتصاب الأملاك والأراضي الزّراعيّة الخاضعة للسيطرة

العسكريّة[8]، مستخدمة منهج التّدرج في إخضاع المناطق وانتزاع الأراضي من ملاكها، وتسليمها للمعمرين الوافدين[9]. وبعدما أخضع الاستعمار الرّوماني نوميديا سياسيا بدأ في ضرب مقوماتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة من خلال تفكيك الوحدة القبليّة.طوال فترة الاحتلال الرّوماني، ومنذ القرن الأوّل قبل الميلاد لم تتوقف حركات المقاومة والتّمرد والعصيان، ومنها ثورة الزّعيم النّوميدي "أرابيون" (Arabion) ابن "ماسينيسا االثّاني" وتبعتها ثورات أخرى كثورة "تاكفاريناس" النّوميدي ما بين سنتي 16 و24 للميلاد ليعم المنطقة بعد ذلك عصيان القبائل الموريّة التي حملت السّلاح ضد الرّومان في عهد الإمبراطور "كاليغولا" (Caligula) ما بين سنتي 37 ولم تحدث تغيرات هامة في نظام المقاطعات في المنطقة إلاّ بعد سنة 297م حيث قام الإمبراطور "دقلديانوس" (Dioclitien) بإجراء تغيرات على نظام الحكومة في نوميديا ، وذلك بأن أوجد أربعة أقسام إداريّة وهي: نوميديا السّيرتيّة وقاعدها مدينة سرتا (Cirta) ونوميديا العسكريّة وقاعدتها "لمبيزي" (تازولت) (Lambese)، وموريطانيا السّطيفيّة وقاعدها "ستيفيس" (سطيف الحاليّة) (Sitifis)، وموريطانيا القيصريّة وقاعدها قيصريّة "شرشال" (Cherehel)، وفي ظل إصلاحاته قام بإلحاق مقاطعة موريطانيا الطّنجيّة بإسبانيا، وقام بتقسيم موريطانيا القيصريّة إلى قسمين هما: موريطانيا القيصريّة وموريطانيا السّطيفيّة فيما بين سنتي 292 و296م، ويستعين حاكم المقاطعة بمجموعة من المساعدين والموظفين أو بعض الأعيان من الأهالي.

2 . 1 النّظام الإداري الرّوماني في مقاطعة نوميديا: لقد كانت نوميديا في بادئ الأمر تحت حكم الفرقة الأغسطيّة االثّاالثّة، حيث كانت في العهد الجمهوري يحكمها القنصل المخول (Proconsul)، وأصبحت تعرف بالبروقنصليّة كان مقرها سيرتا(Cirta)، أمّا في العهد الإمبراطوري، فقد قام النّظام الإداري على مبدأ تقسيم السّلطة بين الإمبراطور ومجلس الشّيوخ، وعلى هذا الأساس قسم أغسطس العالم الرّوماني إلى نوعين من المقاطعات مقاطعات سيناتوريّة على رأس كل منها قنصل مخول يعين من طرف مجلس الشّيوخ ومقاطعات إمبراطوريّة عسكريّة تسيّر من طرف القاضي المخول (Propeotor) أو وكيل الإمبراطور[10]الذي يعينه الإمبراطور ورغم التّبعيّة النّظريّة حتى عهد الأسرة السّيفيريّة بالضّبط سنة 204 م تاريخ انفصال

نوميديا الرّسمي عن البروقنصليّة في عهد سبتموس سفيروس، ومنه أصبحت سلطة القاضي المخول كاملة ولا يحاسبه إلا الإمبراطور، كانت مهامه تتجاوز قيادة الجيش إلى الإدارة والقضاء أمّا إقامته فكانت في مقر الفرقة الأغسطيّة بلمباز[11]. في حين اوجد الرّومان مجموعة من المدن التي استقبلت مجموعة من السّكان يتمتعون بحقوق المواطنة الرّومانيّة، وبهذا يعتبر سكانها رومانيين بالأصل أو بالقانون فهم يتمتعون بالقوانين نفسها التي يتمتع بها سكان روما، وتتمتع هذه المدن بالاستقلال الإداري وهنا نشير إلى إضافة عدد آخر من المدن التي رقيت إلى مستوطنات وذلك كونها إمّا عواصم قديمة أو بسبب أهميتها الاقتصاديّة، ونذكر على سبيل المثال، منح هادريانوس حق اعتماد ذكره المؤرخون مثل كامبس غزال ووغيرهم عند تطرقهم للنظام الإداري للمدن النّوميديّة الاستناد على نقيشة (دوقة) التي يرجع تاريخها إلى سنة 139 ق. م من حكم الملك "مكيبسا–Micipsa"، لتعميم النّظام الإداري الذي كان موجودا في هذه المدينة على باقي المدن النّوميديّة ومن بينها (كيرتا)، وجود مجلس يرأسه الشّفطان، ومجالسّ أخرى كرئيس المائة، ورئيس الخمسين[12]، ويعتقد كل من غزال وكامبس، أن هؤلاء النّواب هم قادة عسكريون مكلفون بالحفاظ على سلطة الملك في المدن المسيطر عليها وبجمع الضّرائب وتجنيد النّوميديين في فرق لتشكيل الجيش[13].

2–الأوضاع الاجتماعيّة: تتشكل القبيلة من مجموعة من الأسر المتحدة تجمع بينها صلة القرابة، وهي كيان اجتماعي يقوم على القرابة بالدّم والمصاهرة، ويمكن لهذا الكيان أن يتعزز والمشاركة في مختلف النّشاطات الاقتصاديّة، وهي أوّل صورة للنظام الاجتماعي الدّائم، والنّظام القبلي في بلاد المغرب القديم قديم جدا، في النّصوص الكلاسيكيّة الإغريقيّة واللاتينيّة إشارة إلى الجماعات القبليّة القديمة في هذه المنطقة، فقد سجل هيرودوت في تاريخه عددا كبيرا من القبائل الليبيّة القديمة، وأشار إلى تقاليدها وأعرافها[14]، يقدم لنا صورًا عن جوانب هامة من واقع الحياة الاجتماعيّة التي كانت القبيلة إطارا لها، إلى الحد الذي جعل باحثين من أمثال بيار بورديو وقوتيي وقزال في دراساتهم يقررون بأنّ البني الاجتماعيّة الحاليّة في المقاطعات الرّومانيّة في بلاد المغرب القديم لا تختلف كثيرا عما ورد في المصادر القديمة[15].

يشير المؤرخ الفرنسي "كورتوا إلى وجود أكثر من 500 مدينة رومانيّة في المغرب القديم، ويقدم إحصاء للسكان بمليونين ونصف المليون نسمة أي ما يشكل حسب زعمه نسبة % 60 من مجموع السّكان المفترضين لإفريقيا الرّومانيّة[16]، وهي نسبة تبدو أكثر مبالغة بالنّظر إلى طبيعة المجتمع خلال تلك الفترة. لم تبد السّلطات الرّومانيّة النّاشئة في نوميديا تصلبا في التّعامل مع سكان المقاطعة فقد حافظت على النّسيج القبلي لبعض القبائل التي تمكنت السّلطات الرّومانيّة أن تحتويها واعترفت لها بنوع من الحريّة فيما تعلق بنظامها الاجتماعي والقوانين والأعراف التي درجت هذه القبائل على تحكيمها داخل القبيلة، ومقابل هذه الحريّة النّسبيّة حافظ قادة هذه القبائل على الولاء التّام للسلطات الرّومانيّة، فلم يبدوا أي مقاومة للرومان ممّا جعل مناطق هذه القبائل خاضعة تماما للنفوذ الرّوماني، مقابل إظهارهم بشكل يوحي باستقلالهم أمام السّكان كما درجت على منحهم شارات الإمارة والقيادة وحتى ألقابا حيث عثر على نقيشة تحمل لقب (ParaefctusGentis) والذي يعني قائد قبيلة مواليّة للرومان[17] في حين أن جزءًا كبيرًا من المقاطعة فرضت فيه حالة الطّوارئ خاصّة في مناطق قبائل المور لتجنب التّوترات والانتفاضات[18]، كما اعتمد الأباطرة الرّومان على أسلوب التّجسس على السّكان والصّاق التّهم بأي شخص يرفض التّواجد الرّوماني، للتخلص منه والقضاء على أي تجمع مناوئ للرومان في المنطقة[19].

لقد بررت السّلطات الرّومانيّة هذا الأسلوب الاستيطاني بحاجتها الملحة والضّروريّة للأراضي الصّالحة للزراعة، تحت قانون إيليوس أريستيد (AeliusAristide)[20] حيث يشير كامبس إليه بأنّه يبرر الاستيلاء على الأراضي الصّالحة للزراعة ويستثني الأراضي القريبة من خطوط الليمس(Limes) قد يكون هذا الاستثناء بسبب صعوبة استصلاح تلك الأراضي أو بسبب خوف السّلطات الرّومانيّة من القبائل المحليّة التي تميزت بمقاومتها الشّديدة للرومان أو لأسباب أخرى يصعب حصرها[21]، ومن جهة أخرى يشير ديون كاسيوس إلى أنّ القادة المحليين استطاعوا أن يتخطوا السّلطة الرّومانيّة، حيث وجدوا قبولا كبيرا عند السّكان، ودليله على ذلك هو قدرتهم على تحريض السّكان على االثّورة ضد السّلطات الرّومانيّة، وتكوين جيوش كبيرة في مدة قصيرة ويظهر ذلك جليا في المقاومة التي قادها إيدمون بعد مقتل

بطليموس، وتجدر الإشارة إلى أن المقاطعة شهدت عدة ثورات مما يجعلنا نتأكد أنّ السّياسة الرّومانيّة فشلت في إخضاع القبائل المحليّة[22]. تميزت الإدارة الرّومانيّة باللامركزيّة، (وهذا باستثناء الفترات التي لم تكن فيها هذه المقاطعات خاضعة للحكم العسكري المباشر) وهو نظام يتيح حريّة محدودة لحكام المقاطعات للتصرف فيها وهذا النّظام مكن حكام المقاطعات من إقامة مشاريع كبيرة تمثلت في شق الطّرق وإقامة الأسواق والإشراف على إقامة الحاميات العسكريّة وبناء خط الليمس. في حين حاول الأباطرة الرّومان من خلال سيطرتهم على الشّؤون العسكريّة في هذه المقاطعات العمل على خلق سلطة موازيّة لسلطة هؤلاء الحكام في هذه المقاطعات، يشير المؤرخ تاسيت إلى أهميّة سيطرة الإمبراطور على بعض المقاطعات كمصر، حيث تم إنشاء فيها حاميّة عسكريّة لأهميتها الاقتصاديّة.[23] في حين نجد من المؤرخين من يشير إلى أنّ الإدارة الرّومانيّة، سعت جاهدة لخلق المشاكل والخلافات بين القبائل المحليّة تطبيقا لمبدأ سياسة فرق تسد[24]. من هذا المنطلق يمكن القول أنّ السّلطات الرّومانيّة سعت جاهدة لتفكيك البنيّة الاجتماعيّة للقبائل النّوميديّة وهذا عبر مراحل وهذا لأنّ هذه القبائل كانت منتشرة في المنطقة حيث يشير سترابون إلى تواجد هذه القبائل على كامل الامتداد الجغرافي للمغرب القديم من فزان إلى غاية سواحل المحيط الأطلسي مرورا بنوميديا، أهم هذه القبائل هي قبائل المور(Maures) وقبائل البوار (Bavares)، حيث تشير المصادر إلى أنّ هاتين القبليتين استوطنت المنطقة الغربيّة لنوميديا على طول سلسلة الأطلس التّلي وصولا إلى واد ملويّة[25].

إضافة إلى قبيلة البقواط (Baquates) قبائل النّوميد (Numidie)[26]، وقبائل الجيتول (Gaetulii) وقد أجبرت هذه القبائل المحليّة على النّزوح نحو المناطق الدّاخليّة، حيث يشير قزال إلى أن السّياسة الرّومانيّة ركزت على سلب أراضي القبائل المحليّة[27]، صاحب الاستيطان الرّوماني تشتيت الرّوابط القبليّة التي تربط أفراد المجتمع فيما عدا المناطق التي بقيت تحافظ على استقلالها، حيث حافظت على بنيتها القبليّة ذات الرّوابط الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، وصارت القبائل الخاضعة للاستيطان مقسمة إلى طبقات جديدة مرتبة بحسب أهميّة كل طبقة، كل واحدة من هذه القبائل تحتل أراضي واسعة ولكل عشيرة (قبيلة) زعيم يحكمها ووصف

"هيرودوت" زعماء تلك العشائر بالملوك، وهذا التّنظيم الجديد خدمة للتطورات التي شهدتها المنطقة وهذا لمواجهة للأهداف التّوسعيّة للإمبراطوريّة الممثلة في السّيطرة على المقاطعة[28]. ولقد أدركت روما منذ بداية اتصالها بالسّكان خطر النّوميديين على وجودها في المنطقة إن ظلوا يحافظون على كيانهم القبلي، وممّا جعلها أكثر احترازا، ذلك أنّهم كانوا يشكلون فرقا خاصّة مساعدة للقرطاجيين، وكان عددهم الأكبر من فئة الشّباب مما أدى إلى إلحاق الأذى بالسّكان الذين رفضوا الإذعان، وتمثل ذلك في أساليب متعددة للإذلال، منها الاضطهاد ممّا أدى إلى إفقار النّاس وقلة الإنتاج الزّراعي، إذ ضاعت من الأفارقة ملكياتهم التي تحولت إلى المعمرين الجدد، مما جعل "القديس قبريانوس" (Saintcyprianus) يقول: "إنّ الأغنياء أضافوا الأملاك إلى أملاكهم وأقصوا الفقراء ووسعوا أراضيهم" وبفعل هذه السّياسة عزل السّكان عن بعضهم البعض، وترحيل بعضهم إلى ما وراء السّفوح الجنوبيّة المرتفعات الأوراس والحضنة وذلك في محاولة لقطع الصّلة ما بين القبائل، وضرب أي محاولة لاتحادها والحصول على أراضي زراعيّة جديدة للاستيطان، وفي الوقت الذي كان فيه الحلفاء أقل سوءا في المعاملة، وهذا دليل على إنّ السّلطات الرّومانيّة عجزت عن بسط نفوذها في المقاطعة حتى بوجود ملك محلي[29]. إنّ السّياسة الزّراعيّة الرّومانيّة المنتهجة تتمثل في إحكام القبضة العسكريّة وتسخير العناصر المحليّة في خدمة المشروع الحضاري الرّوماني المتمثل في إطالة عمر الإمبراطوريّة كما تعرضت القبائل النّوميديّة إلى حملة منظمة لانتزاع أراضيها وتوزيعها فالجزء الأكبر تحصل عليه الإمبراطور وعائلته، ثم يليه الارستقراطيون الرّومان الذي أغلبهم ينتمون إلى مجلس الشّيوخ، ثم نجد أنّ الجنود المسرّحين تحصلوا هم أيضا على جزء من هذه الأراضي[30]. نجد في النّصوص الإغريقيّة أسماء عدد من المجموعات القبليّة في تعداد شعوب في الشّمال الأفريقي القديم ما قبل الاحتلال الرّوماني وتدل هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التّقاليد والعادات وخاصّة القرابة، وقد سجل المؤرخون والجغرافيون القدامى أسماء ومناطق هذه الشّعوب، وأبرزها هي:

1.2 قبيلة النّوميد (Numidie): إن البحث عن موطن قبيلة النّوميد، يقودنا إلى الحديث عن الإجراءات الهامة التي قام بها الملك ماسينيسا لصالح هذه القبيلة

حيث وسع الحدود الشّرقيّة لمملكته إلى غاية منطقة خليج السّرت الكبير، مما جعل مناطق تواجد هذه القبيلة تتوسع لتشمل مساحة كبيرة جدا من الأراضي الممتدة من المحيط الأطلسي، مرورا بأراضي مقاطعة موريطانيا الطّنجيّة وموريطانيا القيصريّة إلى غاية قرطاجة، لتتوسع في زمن ماسينيسا إلى خليج سرت الكبير.

إلاّ أنّ السّلطات الرّومانيّة اضطرت إلى تقليص أراضي هذه القبيلة لتحصرها في حدود مقاطعة موريطانيا القيصريّة أي من نهر ملويّة غربا إلى غاية الحدود الشّرقيّة للمقاطعة مما يرجح وجود هذه القبيلة في مقاطعة نوميديا[31].

2.2 قبيلة الجيتول (Gaetulii): ظهر اسم الجيتول منذ نهاية القرن االثّاني ق. م[32]، للدلالة على مجموعة قبليّة كبيرة ولكنها لا تمثل عرقا متميزا، فالجيتول نوميد في منطقة الصّحراء الشّرقيّة ومور في الجنوب الوهراني والمغربي، يعيشون حياة التّنقل والتّرحال وينتجعون ما بين القرامنت شرقا إلى المحيط غربا ويعبرون جبال الأطلس الصّحراوي مرتين خلال السّنة، من الجنوب إلى الشّمال خلال الرّبيع ومن الشّمال إلى الجنوب خلال الخريف، ويصلون في انتجاعهم إلى السّهول العليا بالقرب من سيرتا، ولعل حياة البداوة هي التي جعلتهم لا يقيمون دولة مع أنّهم شعب محارب ميّال إلى الحياة العسكريّة[33]، وذكرت النّصوص أنّ هانيبال جند منهم عددا هاما ومثله فعل القائد الرّوماني ماريوس فقد كانوا في تعداد شعب كبير ومن أقوى الشّعوب الليبيّة[34]، تمركزت قبائل الجيتول (Gaetulii) من المنطقة الممتدة من موريطانيا السّطايفيّة، إلى غاية المحيط الأطلسي، مرورا بمقاطعة نوميديا، أمّا فيما تعلق بتوغلها نحو الجنوب فلم تدل المعطيات التّاريخيّة حول أماكن تواجدها في الصّحراء، ماعدا بعض الإشارات التي تدل على تواجدهم في جبال الأطلس الصّحراوي[35]، وهذا لاعتبار أنّهم كانوا كثيري التّنقل. وقد تسببت قبائل الجيتول (Gaetulii) في حدوث عدة تمردات دفعت بالسّلطات الرّومانيّة إلى استجلاب فرق عسكريّة كبيرة، للتحكم في المنطقة خاصّة في المناطق التّليّة من نوميديا، امتدادا من عمق جبال الونشريس،وصولا إلى جبال تلمسان، مرورا بعدة مناطق منها تعراس(Aras) بنيان[36] (AlaUiliaris)، حتى تلمسان (Pomaria)[37]، مما اجبر السّلطات الرّومانيّة على الاستعجال في بناء الليمس وإقامة التّحصينات العسكريّة [38].

3.2المور (Mauri): استعمل الجغرافيون الإغريق هذا الاسم للدلالة على سكان أقصى الشّمال الأفريقي غربا ما بين وادي مولوشا(ملويّة) والمحيط الأطلنطي وقد أخذه عنهم الرّومان واستعملوه للدلالة على مملكة بوكوس وأبنائه (التي استلمها يوبا االثّاني وابنه بطليموس فيما بعد) وعلى المقاطعة التي أقاموها على أنقاض تلك المملكة بعد ضمهم لها وقد حاول عدد من المؤرخين البحث في أصل ومدلول هذا الاسم وأرجعه البعض إلى أصل فينيقي مشتق من كلمة ماهوريم (Maharim) التي تعني في رأيهم أهل الغربة، ويستنتج من سترابون أنّ اسم ماوري (Mauri) كان مستعملا من طرف الأهالي والرّومان[39] ممّا جعل البعض يقاربه بكلمة (Tamurt) التي تعني الأرض، خاصّة وأن المصادر ذكرت وجود قبيلة أهليّة في ناحيّة مولوشا اسمها ماوري (Mauri)، اعتبرها بعض المؤرخين كنفدراليّة قبليّة انبثقت منها المملكة الموريتانيّة، أنّ اسم المور وموريتانيا خلال الفترة الرّومانيّة أصبح يحمل دلالة إداريّة ولكن الاسم سيعمم خلال الفترة البيزنطيّة على كل جماعات الشّعب البربري التي حافظت على أعرافها ونظمها الاجتماعيّة والسّياسيّة.[34]

4.2 الباوار (Bavares): البابار في بعض النّصوص، والصّيغة ليست بعيدة عن بربر، الاسم الذي روجت له النّصوص العربيّة خلال القرون الوسطى وصفتهم النّقوش اللاتينيّة بالشّعب الكبير(Gentis multus). ظهر هؤلاء الباوار على مسرح الأحداالثّ خلال القرن الرّابع الميلادي، وينقسمون إلى الباوار الغربيين (ناحيّة مسيردا شمالي تلمسان) والباوار الشّرقيين في منطقة البابور إلى مشارف كويكول وميلة (القبائل الشّرقيّة) وفيهم الجبليون المستقرون والبدو الرّحل، وهو ما جعل بعض الدّارسين يميل إلى أنّ الباوار الغربيين هم أجداد قبائل مسيردا، والباوار الشّرقيين هم أجداد جبليي كتامة في القبائل الشّرقيّة[35] أمّا البعض الآخر فيرى بأنّ الباوار شرقيين وغربيين هم أجداد البدو الكبار من الزّناتيين وأنّ مجالات انتجاعهم هي السّهول العليا من سطيف إلى ملويّة[36].

5.2 الموزولامي (Musulames): كما سعت الإدارة الرّومانيّة إلى تشتيت بعض القبائل ومنها قبيلة "الموزولامي" (Musulames) التي تحولت إلى قبيلة تعمل في الزّراعة، وتستقر بعد أن كانت تمارس الرّعي والتّرحال.[37]

6.2 البقواط (Baquates): قبائل ذكرتها النّصوص الاالثّريّة والمصادر الأدبيّة، والبقواط في تعداد شعب أشارت النّصوص القديمة إلى مواطنهم من وادي ملويّة إلى المحيط ما بين فوليبيليس وليلي أو آليلي) إلى الأطلس الأوسط، ولكنّهم كانوا على صلة تعاون وتحالف مع قبائل الباوار في المنطقة ما بين تلمسان ومسيردا[38].

7.2حلف القبائل الخمس (Quinquegentiani): وكما ذكرتها المصادر اللاتينيّة هي كنفدراليّة قبائل متمركزة في المنطقة الجبليّة ما بين دلس وبجاية، وتتكون من القبائل التّاليّة:

– ماسينيسن (Masinissenses) وهم اليوم قبيلة مسينا أو إيمسيسن المتمركزين في الضّفة اليمنى لوادي السّاحل[39]؛

– تيندن (Tyndenses) الذين كانوا يتمركزون في إقليم قبيلة فناية الحاليّة (بني وغليس وآيت عامر)؛

– إيسفلن (Isatlenses) (وهم فليسة اليوم). –يوبلن (Jubaleni)؛

– پيسالنّ (lesalenses) وكانوا متمركزين غربي زواوة.

تحول حلف القبائل الخمس والباوار إلى قوة ضاريّة في المنطقة أسندت قيادتها إلى رئيس إحدى قبائل الحلف اسمه فاراكسن(Faraxen) الذي قام بالإعداد الحربي ثم اكتسح المقاطعة النّوميديّة، وكان الباوار أقربهم من مراكز الاستعمار في جهة ميلة أوّل المهاجمين، فقد نزلوا من جبالهم مكتسحين حوض واد النّجا الذي كان الاستعمار الرّوماني قد أقام فيه عددا هاما من المزارع الكبرى (Latifundia)، ممّا جعل إدارة الاحتلال تقوم باستنفار كبير، فجاءت القوة الرّومانيّة من المبايسيس مركز الجيش الأغسطي االثّاالث يقودها الليغاتوس ماكرينيوس دكيانوس[40] (Macrinius Decianus).

3–الأوضاع الاقتصاديّة: لقد كشف يوليويوس قيصر (Julius César) سنة 46 ق. م عن خبايا الأباطرة الرّومان المتعاقبين المتمثلة في السّيطرة العسكريّة على المنطقة بهدف استغلال خيراتها الاقتصاديّة حيث صرح قائلا:"...لقد ضمنت لروما أرضا بإمكانها تزويدنا بكميّة تصل إلى 840.000 قنطار من القمح[41]..."

في هذا الصّدد يمكن القول أنّ السّياسة الاقتصاديّة الرّومانيّة في مقاطعة نوميديا هي استمرار لنفس التّوجه الذي دأبت عليها روما منذ إسقاط قرطاجة، وهو استغلال الأراضي الزّراعيّة لضمان تموين الإمبراطوريّة الرّومانيّة، تشير المصادر الكلاسيكيّة إلى الإمكانيات الزّراعيّة التي تتميز بها المقاطعة على غرار سترابون الذي يشير إليها فيقول "... الأرض تثمر مرتين في السّنة، يبلغ طول سنبلة القمح خمسة أذرع ويساوي خشنها خشن الإصبع الصّغير.. في الرّبيع لا يتطلب عناء زرع الأرض من جديد يكفي غرقها بحزمة من الأغصان المشوكة لكي تنبث حبوب القمح، التي تسقط خلال الحصاد[42]..." إضافة إلى شهادة بلين القديم[43]، إذ أشار في معرض حديثه عن أنواع القمح من حيث الجودة، أنّ قمح السّهول السّاحليّة لنوميديا يحتل المرتبة االثّانيّة من حيث الجودة، وفي المرتبة الأولى قمح بيوتيا (Beotie)[44].

فقد تم التّركيز على إنتاج القمح خلال القرن الأوّل والميلادي، في حين توجهت السّلطات الرّومانيّة خلال القرن االثّاني إلى زراعة الأشجار المثمرة خاصّة أشجار الزّيتون[45]. تجدر الإشارة إلى إنّ زراعة أشجار الزّيتون عرفتها القبائل النّوميديّة قبل التّواجد الرّوماني، إلاّ أنّ السّلطات الرّومانيّة هي التي استطاعت توسيع هذا النّشاط فقد اتخذت الإدارة الرّومانيّة من زراعة الزّيتون سبيلا لتوطين القبائل المحليّة التي اعتادت التّنقل[46]. وقد نجح الرّومان في دفع هذه القبائل إلى التّمدن هذا بالإضافة إلى منعهم من الوصول إلى الصّحراء عن طريق توسيع نفوذهم ودفع حدود الليمس إلى المناطق الجنوبيّة خاصّة في العهد السّيفيري[47]. أبقى الرّومان على النّشاط الاقتصادي الذي كان سائدا من قبل، بخاصّة وأنّ المنطقة تتميز بخصوبة أراضيها إذ أن السّكان كانوا يمارسون الزّراعة في الأراضي الخصبة وينتجون الحبوب، كما يوجد الرّحل، وخلال القرن الرّابع قبل الميلاد كان ريف قرطاج مزدهرًا زراعيًّا، وتم تطوير تقنيّة الإنتاج من خلال استخدام المشاريع المائيّة (سدود، أقنيّة وآبار وتم التّركيز على زراعة القمح، وبدأت ملكيّة القبيلة –للأرض –تنحصر لصالح الملكيّة الخاصّة الرّومانيّة، وقسمت الأرض الزّراعيّة النّوميديّة إلى قسمين:

القسم الأوّل: يتمثل في الأراضي ذات التّربة غير الصّالحة، وتركت للقبائل النّوميديّة. القسم االثّاني: ويتمثل في الأراضي الخصبة والتي تم الاستيلاء عليها من

طرف المعمرين الرّومان له الذين استخدموا لزراعتهم العبيد والعمال الأجراء، والملاك القدماء (من النّوميديين)، والذين استقروا بالأرض العامة فكانوا يدفعون الضّرائب، أمّا الملاك الصّغار فكانوا يدفعون الرّسوم العاديّة وغير العاديّة، إضافة إلى الضّرائب التي كانت تدفع بمقادير مختلفة حسب نوعيتها، فمنها الضّريبة الشّخصيّة وضريبة العقار والضّريبة العسكريّة المعروفة بالتّموينيّة العسكريّة (Annanae Miletaris) وهي ضريبة فرضت على الأهالي لتموين الجيش، وضريبة الأداء على التّجارة الخارجيّة[48].

5-خاتمة: في ختام هذه المقال حول الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في مقاطعة نوميديا الرّومانيّة، يتضح جليا أن مقاطعة نوميديا تعرضت لتغيرات اجتماعيّة وهذا لاستنزاف كل منتجات المنطقة، وفي سبيل ذلك قامت السّلطات الرّومانيّة بسلسلة من التّغيرات الاجتماعيّة والحضاريّة، كما أن السّياسة الاستيطانيّة التي اعتمدت على سلب الأراضي من القبائل المحليّة أسهمت في ظهور عناصر وافدة على حساب العناصر المحليّة ويمكن ذكر أهم النّتائج التي أفضى إليها هذا البحث في النّقاط التّاليّة:

- تواجد في مقاطعة نوميديا قبائل محليّة متعددة أشهرها قبيلة النّوميد (Numidie) قبيلة الجيتول (Gaetulii) المور (Mauri) الباوار (Bavares) الموزولامي (Musulames) البقواط (Baquates) القبائل الخمس (Quinquegentiani)؛

- تلاعب الرّومان بالنّسيج الاجتماعي للقبائل المحليّة في مقتطعة نوميديا حيث منحوا امتيازات لبعض المكونات على حساب بقيّة العناصر المحليّة، وهذه السّياسيّة جاءت في إطار سياسة السّيطرة على المنطقة، يشير إلى ذلك بوضوح شارل أندري جوليان، بقوله أنّ السّلطات الرّومانيّة سعت لخلق طبقة محليّة ارستقراطيّة، أسندت إليها الوظائف البلديّة لتوطيد استعمارها لبلاد المغرب من دون أن تكترث ببقيّة المجتمع المحلي.[49]

المراجع:

المراجع باللغة العربيّة:

1–محمّد بشير الشّنيتي، سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة القرطاجيّة إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م 40م)، الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1985.

2–محمّد البشير الشّنيتي التّوسع الرّوماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصاديّة والاجتماعيّة، مجلة الأصالة، العدد الجزائر 1977.

3–روستوفتزف: تاريخ الإمبراطوريّة الاجتماعي والاقتصادي، الجزء الأوّل ترجمة محمّد سليم سالم وزكي على، القاهرة مكتبة النّهضة المصريّة 1957.

4–محمّد البشير الشّنيتي، الاحتلال الرّوماني لبلاد المغرب (سياسة الرّومنة 146ق.م–40م) الجزائر: الشّركة الجزائريّة للنشر والتّوزيع 1985.

المصادر :

1- Pline l'ancien Histoire Naturelle (H-N), Livre V; Texte établi et traduit par Jehan Desanges, Paris, les belles lettres ; 1980.

2- Strabon. Géographie. Traduction nouvelle par A. Tardieu Paris librairie et Cie 1980.

3- César Guerre civile. Traduction nouvelle par A. Tardieu librairie et Cie. Paris 1951

4 - Dion Cassius .Histoire romaine .traduit et annote par Janick Auberger. Paris. Les belles lettres.1995.

5- Tacite, Annales. Trad. Bernesque. Paris 1956

6-Dion Cassius .Histoire romaine .traduit et annote par Janick Auberger. Paris. Les belles lettres.1995.

7- Tite-Live .Histoire romaine Tardieu librairie et Cie. Paris 1981.

8- Salluste « la conjuration de Catilina la guerre de Jugurtha. Traduction François Richard. Traduction. Genoude. Paris. 1852.

9- Herodote. Histoires texte établi et traduit par PH.E Legrand. Paris. Ed Belles Lettres 1945.

المراجع باللغة الفرنسيّة:

1-(S).Gsell. Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Paris Hachette1978.

2- Nicolet (Claude), Rome et la conquête du monde méditerranéen, 2, genèse d'un empire, Paris, Presses Universitaires de France, 1989.

3- Le Bohec (Yann), La troisième légion Auguste, Paris C.N.R.S., 1989.

4-(F) Décret et (M) Fantar : l'Afrique du Nord dans l'antiquité des Origines au Vème Siècle. Paris.Hachrtte.1954.

5-Albertini (E.) Afrique Romaine, éd. Imprimerie officielle Alger, 1955.

6-(G) Camps: Berbères aux marges de l'histoire, Paris librairie et Cie 1985.

7-(G) Camps les bavars peuples des mouritanies césariennes. Paris 1955

8-(G) Camps. L'olivier et L'huile dans l'Afrique romaine, Paris l'empire romain 1952.

9-(G) Camps: Le berbère mémoire et identité. Toulouse 1980

10-(CH)-A-Julien et Ch. Courtois. Histoire.de.lafrique.du.nord. des origines a la conquête arabe (Paris .Payot.1951).

11-(J) Carcopino: Les Castella de la plaine de Sétif Rrv. Af. 1917 - TOM 58.

12-Rinn(L.) les premiers royaumes Berbères in R. AF. 1885.

13-Thouvenot (R.) Rome et les Barbares Africains, à propos d'une inscription de Volubilis publication du service des Antiquités du Maroc, VII, 1945.

المجلاّت:

1-Revue Africaine. Journal des travaux de la société algérienne Paris : libraire Belles-Lettres 1868.

2-Léon Renier Inscriptions Romaines de l'Algérie .Paris Imprimerie Nationale M DCCC

3-Ephemeris. Epigraphica. Additamenta Altera. Ad. Corporis. VOL. VIII.

الإحالات:

1 –(S).Gsell. Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Paris Hachette1978 T VIII, 1972, p 122.

2–Nicolet (Claude), Rome et la conquête du monde méditerranéen, 2, genèse d'un empire, Paris, Presses Universitaires de France, 1989, p. 639.

3–Le Bohec (Yann), La troisième légion Auguste, Paris, C.N.R.S., 1989, pp. 347–360

4– محمّد بشير الشّنيتي، سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة القرطاجيّة إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م 40م) الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب 1985، ص 60–61.

5 –(S).Gsell. Op.cit. p47.

6– محمّد البشير الشّنيتي، الاحتلال الرّوماني لبلاد المغرب (سياسة الرّومنة 146ق.م–40م) الجزائر: الشّركة الجزائريّة للنشر والتّوزيع 1985 ص 288.

7- Pline l'ancien Histoire Naturelle (H-N) Livre V; Texte établi et traduit par Jehan Desanges, Paris, les belles lettres ;1980, XVIII, 35.

8– محمّد البشير الشّنيتي التّوسع الرّوماني نحو الجوب واالثّاره الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، مجلة الأصالة، العدد 2 الجزائر 1977.

9- Op.cit, XVIII 63

10- Strabon. Géographie. Traduction nouvelle par A. Tardieu Paris librairie et Cie 1980.

XVII.3.11

11- (F) Décret et (M) Fantar : l'Afrique du Nord dans l'antiquité des Origines au Vème Siècle. Paris.Hachrtte.1954, p.144.

12- Albertini (E.), Lafrique Romaine, ed. impremerie offecielle, Alger, 1955, p 32.

13- Camps(G), Massinissa Tardieu librairie et Cie. Paris 1951.p255 - Gsell(St), Op.cit, p134.

14- (S).Gsell. Op.cit. p 135 n° 9, Camps (G), Op.cit. p 257.

1 5- Herodote. Histoires texte établi et traduit par PH.E Legrand. Paris. Ed Belles Lettres 1945. IV.

16- Gsell (S.), Op.cit. p 65.

17- César .Bellum Africum. Texte établi et traduit par Bouvet. A Paris, les belles lettres ; 1949, I.4 ; XXXVI, 4.

18- Revue Africaine. Journal des travaux de la société algérienne Paris: libraire Belles-Lettres 1868 p 113.

19- روستوفتزف : تاريخ الإمبراطوريّة الاجتماعي و الاقتصادي. الجزء الثّاني. ترجمة محمّد سليم سالم وزكي على القاهرة مكتبة النّهضة المصريّة 1957.ص 532.

20 - نفسه ص 536.

21- إيليوس أريستيد: هو قانون يتيح للسلطات الرّومانيّة الاستيلاء على الأراضي الصّالحة للزراعة ويستثني الأراضي القريبة من خطوط اليمس(Limes) لمزيد من المعلومات انظر : محمّد البشير الشّنيتي المرجع السّابق ص 55.

22- (G) .Camps : Berbères aux marges de l'histoire. (Paris .A. Michel .1931) pp 116-118.

23- Dion Cassius .Histoire romaine .traduit et annote par Janick Auberger. Paris. Les belles lettres.1995 LX 9-5.

24- Tacite, Annales. Trad. Bernesque. Paris 1956 P 21.

25- G .Camps : Berbères aux marges de l'histoire. Paris P.U.F. 1956 pp 240-244.

26- G .Camps : les Bavares peuples de Mauritanie Césarienne. Paris 1955 p 642-645

27- G .Camps : Le berbère mémoire et identité. Toulouse 1980 p 140 – 144.

28- (S).Gsell. Op.cit p 87-89.

29- محمّد البشير الشّنيتي ، الاحتلال الرّوماني لبلاد المغرب (سياسة الرّومنة 146ق.م-40م).الجزائر: الشّركة الجزائريّة للنشر والتّوزيع 1985 ص75.

30- Dion Cassius .Histoire romaine .traduit et annote par Janick Auberger. Paris. Les belles lettres.1995. LV 28. p198.

31-(CH)-A-Julien et Ch. Courtois. Histoire. De l'Afrique du nord. Des origines à la conquête arabe (Paris .Payot.1951) p 217-218.

32- G .Camps: L'olivier et L'huile dans l'Afrique romaine. p143.

33- Tite-Live .Histoire romaine Tardieu librairie et Cie. Paris 1981, XXIII, 18,1

34- Salluste « la conjuration de Catilina la guerre de Jugurtha. Traduction François Richard. Traduction. Genoude. Paris. 1852. XVII.

35-Tite-Live .Histoire romaine Tardieu librairie et Cie. Paris 1981. XXIII, 18.

36- محمّد البشير الشّنيتي، الاحتلال الرّوماني لبلاد المغرب ص165.

37- Léon Renier Inscriptions Romaines de l'Algérie .Paris Imprimerie Nationale M DCCC LV.N°:2644

38- Ephemeris. Epigraphica. Additamenta Altera. Ad. Corporis.VOL. VIII. P148. N°1280.

39- (J) Carcopino: Les Castella de la plaine de Sétif Rrv. AF. 1917 - TOM 58. p 16.

40 - Strabon. Op.cit XVII, 3, 2.

41– Rinn (L), les premiers royaumes Berbères, in R. AF. 1885, No 29, pp. 172-175.

42- (G) Camps les bavars peuples des mouritanies césariennes, Op.cit p. 277.

43- Thouvenot (R.), Rome et les Barbares Africains, à propos d'une inscription de Volubilis publication du service des Antiquités du Maroc, VII, 1945, p. 181.

44- Pline l'ancien Op.cit. P24.

45- محمّد البشير الشّنيتي، الاحتلال الرّوماني لبلاد المغرب ص89-90.

46- (R).Gagnat Corpus Inscriptionum Latinarum Tom VIII. Paris 1953p. 62.

47- Rachet (M.), Rome et les Berbères, un problème militaire d'Auguste à Diocléticn, Collection LATOMUS. (Volu. 110). Bruxelles. 1970. p. 249.

48- Picard (G.-Ch.), La civilisation de l'Afrique Romaine, Paris, Plon, 1959.p70.

49- Strabon. Géographie. Op.cit 3.12.